الاتحاد السوفياتي للسلاح الذري لم يمنع الولايات المتحدة من تطوير ترسانتها الذرية، ومن دخول المعسكرين في سباق رهيب لتطوير وتكديس السلاح الذري وابتكار الوسائط الحديثة لنقله وايصاله الى مختلف بقاع الأرض، ونشره خارج حدود الدولتين العظميين. ومع نهاية عقد الستينات، أصبحت الترسانة الذرية لكلا المعسكرين تزيد على الكمية الكافية لابادة سكان الأرض (over kill). وأصبح كل من المعسكرين يدرك ان ليس ثمة منتصر في الحرب الذرية، حتى لو بدأ بالضربة الاستباقية؛ فالضربة الذرية الانتقامية من الخصم كافية لالحاق الدمار الشامل والابادة التامّة له.

وهكذا دخل العالم مرحلة «توازن الرعب»، حيث باتت أية محاولة «للعب» بالسلاح الذري تنطوي على مخاطر تتهدّد الحياة فوق هذا الكوكب. وقد دفع الأمر هذا كلًّا من المعسكرين الى محاولة تجاوز حالة الحرب الباردة، وتخفيف حدّة التوتّر التي ميّزت، بصورة عامة، علاقات المعسكرين ببعضهما، منذ نهاية الحرب العالمية الثانية؛ خاصة وان سباق التسلّح أصبح يثقل كاهل الشعوب في كلا المعسكرين، ويؤثّر، سلباً، في برامج التنمية الاقتصادية والاجتماعية لكل منها. ومن جانبها، حاولت دول العالم، خارج المعسكرين المتصارعين، ان تنأى بنفسها عن هذا الخطر الداهم. وكان من بين الأهداف الرئيسة لتشكيل كتلة عدم الانحياز الابتعاد من مجال الاستقطاب السياسي، والعسكري، لكلا المعسكرين، وتجنّب نتائج صراعهما المدمّرة، والسعي الى تخفيف حدّة التوتر بينهما.

لقد أصبح الانفراج بين المعسكرين، الاشتراكي والرأسمالي، أحد الهموم الرئيسة لدول وشعوب الارض كافة، خاصة بعد ان أصبحت المظلة النووية تغطّي مختلف بقاع اليابسة والمحيطات، وبات انفلات المارد الذري من قمقمه يعني فناء البشرية. ولعل بعض الاحزاب والقوى داخل المعسكر الامبريالي لم يَرُقه سياسة الانفراج الدولي، لأنها تضرّ بمصالحه الضيّقة، المرتبطة بتأجيج النزاعات الاقليمية، وتصدير الأسلحة، وتخويف الشعوب لتسهيل السيطرة عليها ونهب ثرواتها. غير ان هذه القوى لم تجرؤ، في يوم من الأيام، على اعلان انها تقف ضد مبدأ التعايش السلمي والانفراج في علاقات المعسكرين.

ثمّة جهة وحيدة في العالم لم تكتف بالوقوف، علناً، ضد سياسة الانفراج الدولي، ومعارضتها من حيث المبدأ، بل عملت، لسنوات طويلة ـ ولا تزال تعمل ـ ، ضد مساعي الانفراج بين المعسكرين، ومارست عمليات تخريب عديدة للمحاولات التي بذلت لتحقيق التقارب بين المعسكرين، وتخفيف حدّة الحرب الباردة، ونجحت، غير مرة، في عرقلة مساعي الانفراج الدولي. تلك هي اسرائيل.

اسرائيل و«خطر» الانفراج الدولي

كانت كلفة انشاء وصيانة المشروع الصهيوني في المنطقة العربية باهظة للغاية، من النواحي المادية والسياسية والعسكرية. وكان لا بدّ من ان يصبح المشروع الصهيوني «مصلحة عليا» للغرب الاستعماري، لكي يتحمّل كلفة انشائه وصيانته. من هنا كانت التعهدات التي قطعها ثيودور هرتسل على نفسه بأن الدولة اليهودية ستكون «حصن الحضارة في مواجهة الهمجية»، ووعود حاييم وايزمان بأن تظل هذه الدولة «حامية لمصالح الغرب الحيوية، وخاصة قناة السويس، ونفط جزيرة العرب».

غير انه لم يكن يدور في خلد المؤسسين الأوائل للمشروع الصهيوني ان أهمية هذا المشروع، بالنسبة الى الغرب الاستعماري، ستتضاعف بنهاية الحرب العالمية الثانية، وسترتبط، الى حد كبير، باستمرار التوتر بين المعسكرين، الاشتراكي والرأسمالي. فقد أصبح للغرب عدو استراتيجي قوي